حيث لا يبقى له متسع الى غيره فغير معلوم قلنا لعله رضي الله عنه جعل مثلكة صلى الله
عليه وسلم الى امانه بمثابة التصرف بالهمة من آخريه في التاثير او علم ذلك
من جملة ما القاه النبي صلى الله عليه وسلم اليه وهو صلى الله عليه اعلم بنفسه فان
قلت هب انه تصرف بالهمة ولكن بامر كما عرفت فلم تخلف عنه الاثر قلنا لعل
الحكمة غير ان يعلم صلى الله عليه وسلم انه لا اثر للهمة الالهية الا فيما له استعداد قبول
اثرها فيستريح عن اتعاب نفسه بتسليط الهمة على ايمان احد فيقتصر على البلاغ
فانه كان شديد الحرص على ايمان قومه كما قال تعالى لعلك باخع نفسك على آثارهم
ان لم يؤمنوا بهذا الحديث اسفا وفيه اي في شان الرسول مع عمه ابي طالب
نزلت الاية التي ذكرناها ولذلك قال في شان الرسول انه ما عليه الا البلاغ
بصيغة الحصر وقال ليس عليك هديهم ولكن الله يهدي من يشاء وزاد على ذلك
في سورة القصص قوله وهو اعلم بالمهتدين اي بالذين اعطوا العلم بهدايتهم
في حال عدمهم باعيانهم الثابتة فاثبت بهذه الزيادة ان العلم تابع للمعلوم فمن
كان مومنا في حال ثبوت عينه وحال عدمه ظهر بتلك الصورة في حال وجوده
وقد علم الله ذلك منه انه هكذا يكون ولذلك قال هو اعلم بالمهتدين فلما قال مثل هذا
قال ايضا ما يبدل القول لدي لان قولي على حد علمي في خلقي وما انا بظلام للعبيد اي
ما قدرت عليهم الكفر الذي يشقيهم ثم طلبتهم بما ليس في وسعهم
ان ياتوا به حتى اكون ظالما لهم
حتى يكون ظلما على ظلم واكون به ظلاما بل ما عاملناهم الا بحسب ما علمناهم وما اعطيناهم
الوجود الا بحسب ما علمناهم وما علمناهم الا بما اعطونا من نفوسهم مما هم
عليه فان كان ظلم فهم الظالمون في الواقع فانهم طلبوا الجواد المطلق وجود ما
جرى عليهم من الظلم ولذلك قال ولكن كانوا انفسهم يظلمون فما ظلمهم الله
وكما انه ما اعطيناه من العلم بهم الا ما اعطونا ذواتهم كذلك ما قلنا لهم اي
ما امرناهم بقول كن الا ما اعطته ذواتنا ان نقول لهم اي نامرهم بهذا القول وذاتنا
معلومة بما هي عليه من ان نقول كذا ولا نقول كذا فما قلنا الا ما علمنا
انا نقول فلنا القول بالحكم منا وعليهم الامتثال قطعا ان كان القول امر ايجاد او ايجابا
واقتضت اعيانهم امتثاله وعدم الامتثال ان كان الامر ايجابا ما اقتضت
اعيانهم امتثاله مع السماع اي مع وقوع سماع قولنا منهم فالكل منا ومنهم
والاخذ عنا وعنهم يحتمل ان يكون هذا الكلام من لسان الاسماء الالهية فهو

الظاهر

الظاهر نظرا الى الكلام السابق ويحتمل ان يكون من لسان الاعيان الثابتة فعلى الاول
معناه ان كل ما دخل في الوجود منا اي حصل من الاسماء بالفعل والتاثير ومنهم اي من
الاعيان الثابتة باعتبار القبول والتاثر والاخذ اي اخذهم الوجود عنا واخذنا
العلم بهم عنهم وعلى الثاني معناه ان الكل منا اي من الاعيان الثابتة المتاثرة ومنهم
اي من الاسماء الالهية المؤثرة اخذهم العلم بنا عنا واخذنا الوجود عنهم ان يكونوا منا
تقدير الكلام ان كان الاعيان الثابتة او الاسماء لا يكونون منا لمكان النون في يكونون
وفي بعض النسخ ان لم يكونوا فلا حاجة حينئذ الى هذا التقدير فعلى الاحتمال الاول
معناه ان لم يكن الاعيان الثابتة ظاهرة عنا في عرصة الوجود الكوني باعتبار
انها ما شمت رائحة الوجود فنحن اي الاسماء الالهية ظاهرون فيها منهم لانهم
مجالينا ومظاهرنا باعتبار ظهور عكوسهم وظلالهم في مرآة ظاهر الوجود الحق
وعلى الثاني معناه ان لم يكن الاسماء الالهية منا وكيف يكون منا وهي المؤثرات في وجودنا
فنحن لا شك منهم لحصول المعنى بعينه فتحقق يا ولي هذه الحكمة الملكية من الكلمة
اللوطية فانها لباب المعرفة لاشتمالها على بيان ان كمال العارف في الرجوع الى ضعفه
الاصلي وعجزه الذاتي وتركه التصرف في العالم بجمعية الهمة الا امتثالا للامر
الالهي وعلى بيان سر القدر الذي بمعرفته يستريح العارف ويقيم اعذار الخلائق
فيما يجري عليهم وعلى غير ذلك من الحقائق كانحصار الوجود في الفاعل والقابل فقد
بان لكل السر اي سر القدر او سر سريان الوجود في الكل وقد اتضح الامر اي امر الوجود
على ما هو عليه وانحصاره في الفاعل والقابل وقد ادرج في الشفع اي في صورتي
الفاعل والقابل اللذين بهما الشفعية الوجود الواحد الذي قيل هو الوتر في حد ذاته
الاحدية فص حكمة قدرية في كلمة عزيرية لما كان من مقتضى حقيقة عزير
عليه السلام واحكام عينه الثابتة انبعاث رغبة منه نحو معرفة سر القدر وصف
الشيخ رضي الله عنه حكمته بالقدرية ولما كان القدر مسبوقا بالقضاء لانه تفصيله
قدمه في البيان فقال اعلم ان القضاء حكم الله في الاشياء ازلا بالاحوال الجارية
على اعيانها الى الابد وانما قال في الاشياء مع ان المراد على الاشياء تنبيها على استقرار
هذا الحكم فيها استقرار المظروف في الظرف فلا يتغير اصلا والاشياء اعم من ان يكون
محكوما عليها او بها والحكم واقع بعضها على بعض فهو فيما بينها
واقع على حد علمه بها في انفسها وفيها معتبرة مع احوالها لعدم الزيادة

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)